شيخ زاده: حياته وآثاره العلمية:

حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي)

الحافظ عبدالرحيم*
منقاد أحمد فيضي**

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي ختم به النبوة.

اسمه:

محيي الدين هو محمد بن مصلح الدين القوجوي، والقوجة كما أفادني أحد العارفين باللغة التركية، تعني الشيئ الكثير، والشيخ الكبير المسن، والعالم الكبير أيضا .ولعل هذا الأخير هو الأقرب إلى شارحنا شيخ زاده، لأنه كان معلما متصدرا للإقراء ,وهذا الرأي يفسر لنا أيضا كثرة ورود هذه النسبة في أسماء العلماء الأتراك في تلك الحقبة.وقد أجمعت المصادر جميعا على تسميته.

التعريف بشيخ زاده بإيجاز:

إن شيخ زاده ،شأنه شأن كل العلماء المتأخرين، غير العرب خاصة، لم يلق العناية التي يستحقها في كتب التراجم، فلميذكر التاريخ مولده، ولم يشر إلى عمره ، ولاإلى الأشياء الخاصة في حياته العلمية.

مفسر، فقيه، فرضي مشارك في بعض العلوم.كان مدرسا بالقسطنطينية، تولى قضاء مصر وسافر إلى الحجاز[1].

كان عالما بالتفسير والأصول وسائر العلوم الشرعية والعقلية وأخذ العلم عن والده وكان والده من مشاهير العلماء ببلاد الروم.

أساتذته:

من أهم أساتذة شيخ زاده:

1. المولى عبدي الدرس باماسية.
2. المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري .
3. المولى الفاضل بهاء الدين.

حياته ونشأته:

وولي التدريس والولايات حتى صار قاضي العسكر بولاية أناضولي ثم استعفى منه فأعفي وأعطي إحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمصر فأقام بها سنة ثم حج وعاد إلى القسطنطينية[2].

---

* أستاذ اللغة العربية ،جامعة بهاءالدين زكريا ملتان، باكستان

** باحث الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بهاءالدين زكريا ملتان، باكستان

اشتغل وحصل، ثم خدم المولى فضل الدين ، ثم درس بمدرسة خواجه خير الدين بالقسطنطينية، ثم آثر العزلة فترك التدريس، وتقاعد بخمسة عشر عثمانياً، وكان يستكثرها على نفسه ويقول :يكفيني منها عشرة، ولازم بيته وأقبل على العلم والعبادة، وكان متواضعاً يحب أهل الصلاح، وكان يشتري حوائجه من السوق بنفسه مع رغبة الناس في خدمته، فلا يرضى إلا بقضائها بنفسه تواضعاً، وهضماً للنفس، وكان يروي التفسير في مسجده فيجتمع إليه أهل البلد، ويسمعون كلامه ويتبركون بأنفاسه، وانتفع به كثيرون، وكان يقول :إذا شككت في آية من القران أتوجه إلى الله تعالى فيتسع صدري حتى يصير قدر الدنيا، ويطلع به قمران لا أدري هما أي شيء، ثم يظهر نور فيكون دليلاً على اللوح المحفوظ فاستخرج منه معنى الآية، وممن أخذ عنه صاحب الشقائق قال :وهو من جملة من افتخرت به، وما اخترت منصب القضاء إلا بوصية منه. (3)

كان رحمه الله عارفا بالله وصفاته وكان زاهدا متورعا وحكى عنه بعض أصحابه أنه أرسل معه جملا من البر إلى الطاحون قال وقدمني الناس على أنفسهم رعاية لجانب الشيخ فلما ذهبت إليه قال أسرعت في المجيء وما كان السبب في ذلك فحكيت له القصة فسكت وذهب إلى جانب من ساحة داره فحفر هناك حفيرة وقال ساعدني على ذلك فساعدته حتى رضي ثم أتى بالدقيق فدفنه في الحفيرة فسألته عن ذلك فقال هذا الدقيق لا يجوز أكله ودفته خوفا من أن يأكله كلابي. كماحكي عنه أنه أحضر من يختن ابنه فختنه وأحضر قصعة من الزبيب فجعله وليمة له. وحكي عنه أيضا أنه قطع لأولاده عباءة وكانت زوجته في الحمام فلما جاءت ورأت الثياب فقالت عباءة يليق بالذكور. وأما هذه البنت فينبغي لها الثوب من الكرباس فقال الشيخ أخرت لها هذا الثوب إلى وقت تزويجها.

وحكى ابنه المولى محيي الدين محمد رحمه الله أنه قال ذهبت مع والدي إلى الحجاز للحج وكنت نحو خمس عشرة سنة أو أكثر. قال فلما نزلنا دمشق اعتكف والدي في جامع بني أمية وكان لا ينام الليلة بطولها وارتاض هناك رياضة عظيمة فقال لي يوما غلبت علي نفسي وشوشت خاطري من جهة القمل قال فأخرجت قميصه فوجدته مملوءا من القمل بحيث لم أقدر على قتلها. وإنما ألقيتها بيدي على الأرض قال ثم ذهبنا إلى مكة الشريفة ولما وصلنا إليها شرفها الله تعالى أوصاني إلى بعض أصحابه وأعطاه مقدارا من الدراهم ليصرف في حوائجي قال فغاب أبي مقدار شهرين ولم نعرف حاله ثم حضر وما عرفت بي في أول نظره لما حصل له من البهجة في وجهه المبارك كأن الأنوار تتلألأ من وجهه. وحكى أيضا أنه كان الوزراء يزورونه وهو يوبخهم توبيخا عظيما ويذكر ما سمعه من مظالمهم قال وكانوا يعتذرون إليه ويتوبون عنده من الظلم ويقبلون يده(4).

قرأ على علماء عصره ثم وصل إلى خدمة المولى الفاضل ابن فضل الدين ثم صار مدرسا بمدرسة خواجه خير الدين بمدينة قسطنطينية وتزوج بنت الشيخ العارف بالله الشيخ محيي الدين القوجوي ثم غلب عليه داعية الفراغ والعزلة وترك التدريس وعين له كل يوم خمسة عشر درهما بطريق التقاعد وكان رحمه الله تعالى يستكثر ذلك ويقول يكفيني عشرة دراهم ولازم بيته واشتغل بالعلم الشريف والعبادة. وكان متواضعا متخشعا مرضي السيرة محمود الطريقة وكان محبا لأهل الصلاح وكان يشتري من السوق حوائجه بنفسه ويحملها إلى بيته بنفسه مع رغبة الناس في خدمته وهو لا يرضى إلا أن يباشره تواضعا لله تعالى وهضما للنفس.

رواية التفسير وكيفيته :

وكان يروي التفسير في مسجده ويجتمع إليه أهل البلد ويستمعون كلامه ويتبركون بأنفاسه وانتفع به كثيرون .قال رحمه الله تعالى إذا أشكلت علي آية من آيات القرآن العظيم أتوجه إلى الله تعالى فيتسع صدري حتى يكون قدر الدنيا ويطلع فيه قمران لا أدري أنهما أي شئ ثم يظهر نور فيكون دليلا إلى اللوح المحفوظ فاستخرج منه معنى الآية قال رحمه الله تعالى إذا عملت بالعزيمة لا أريد النوم إلا وأنا راقد في الجنة وإذا عملت بالرخصة لا تحصل لي هذه الحال وكانت له محبة عظيمة في هذا العبد الحقير.

وصية منصب القضاء:

وأنه من جملة ما افتخرت به وما اخترت منصب القضاء إلا بوصية منه وكان قد أوصاني به. وحكى لي أن واحدا من أصدقائه كان قاضيا ثم ترك القضاء مدة ثم دخل القضاء ثانيا وكان رجلا صالحا صدوقا فسألته عن سبب دخوله ثانيا فقال كان لي عند قضائي مناسبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أراه في المنام في كل أسبوع مرة فتركت القضاء ليحصل لي زيادة تقرب إليه على ما كان في الأول فبعد ترك القضاء ما رأيت كما رأيت في حال القضاء فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني تركت القضاء ليزيد قربي منكم فلم يقع كما رجوت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المناسبة بيني وبينك أزيد عندالقضاء من مناسبتك عندالترك لأنك عند القضاء تشتغل بإصلاح نفسك وإصلاح أمتي وعندالترك لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك ومتى زدت في الإصلاح زدت تقربا مني قال المولى المرحوم أنا صدقت كلامه وكان الرجل صدوقا فأوصيك أن تختار القضاء وتصلح نفسك وغيرك هذا كلامه قدس سره[5] .

مدرس في المدارس المختلفة:

ثم صار مدرسا بمدرسة ميغلغزة ثم صار مدرسا بمدرسة إبراهيم باشا بمدينة قسطنطينية وهو أول مدرس بها ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان اورخان الغازي ببلدة ازنيق ثم صار مدرسا بدار الحديث بأدرنه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية وهو أول مدرس بها أيضا ثم صار مدرسا بإحدى المدارس الثمان ثم عين له السلطان بايزيدخان كل يوم ثمانين درهما بطريق التقاعد ثم جعله السلطان سليم خان قاضيا بقسطنطينية ثم جعله قاضيا بالعسكر المنصور بولاية اناطولي ثم استعفى عن قضاء العسكر وتركه فأعطاه السلطان سليم خان إحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم مائة وعشرين درهما ثم ترك التدريس أيضا وبقي في بيته زمانا ثم جعل قاضيا بمصر المحروسة وأقام هناك سنة ثم حج وأتى مدينة قسطنطينية وعين له كل يوم مائة وثلاثون درهما[6].

مكانته بين الأوساط العلمية:

مع أن المصادر لم تذكر شيئا عن حياته العلمية إلا أن الظاهر من ترجمته أن حياته كانت مليئة بالعلم، فهو مدرس،درس وحصل، وهو بعد ذلك متفرغ للعلم الشريف والكتابة.

وإن لم يصلنا الكثير عن تفصيلات حياته العلمية، إلا أن مؤلفاته التي وصلتنا تبين مكانته، فهو من تصدى لكتب صعبة فشرحها وقربها للناس في الفنون المختلفة.

وأجمعت المصادر التاريخية، وكتب الفهارس أن حاشيته علىتفسير البيضاويمن أجل كتبه، بل من أجل حواشي أنوار التنزيل.فشيخ زاده واحد من العلماء المشاركين، والمدرسين العاملين بعلمهم. وأما أخلاقه، وتواضعه، وزهده فإلا شواهد عدل على علمه، وعمله بهذا العلم.

وكتبه من بعد تشهد بهذه المكانة، ويضاف إليها اليوم كتاب جديد لم تلتفت إليه كتب الفهارس قديما: ((شرح قواعد الإعراب)).

كان رحمه الله تعالى عالما بالعلوم العربية كلها وعالما بالتفسير والحديث والأصول والفروع والعلوم العقلية وكان صاحب البيان فصيح اللسان واسع التقرير كامل التحرير وكان له إنشاء بليغ في العربية وصف شبيه في بعض رسائله وقال نزل الثلوج على هامتي حتى تقوس لها قامتي ولا يخفى إن هذه استعارة بليغة حسنة مع ترشيح بليغ مع ما فيه من عذوبة اللفظ وسلاسته وحسن السبك روح الله تعالى روحه[7].

ويحكى عنه أنه قال إذا أشكلت عليه آية من آيات كتاب الله تعالى توجه إلى الله تعالى فيتسع صدره حتى يكون قدر الدنيا فيطلع فيه قمران لا يدرى أى شيء هما ثم يظهر نور فيكون دليلا إلى اللوح المحفوظ فيستخرج منه معنى الآية هذا ماحكاه عنه صاحب الشقائق النعمانية. وحكى عنه أنه قال إذا عملت اليوم بالعزيمة لا أريد اليوم إلا وأنا في الجنة وإذا عملت بالرخصة لا يحصل لى هذا الحال.كما حكى عنه صاحب الشقائق أنه تولى القضاء وكان يرى رسول الله في كل أسبوع مرة فترك القضاء طمعا في كثرة رؤيته في المنام لرسول الله فلم يره بعد تركه للقضاء فدخل في القضاء ثانيا فرآه فقال له يا رسول الله إن تركت القضاء ليزيد قربى منكم فلم يقع كما رجوت فقال له رسول الله إن المناسبة بينى وبينك عند القضاء أزيد من المناسبة عند الترك لأنك عند القضاء تشتغل بإصلاح نفسك وإصلاح أمتي وعند الترك لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك ومتى زدت في الإصلاح زدت تقربا منى[8].

وفاته:

وقد اختلف آراء العلماء في وفاته وهي كالتالي:

قال النجم الغزي:مات في سنة خمسين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين[9].

قال الألباني:وتوفي بالأستانة سنة 931إحدى وثلاثين وتسعمائة[10].

قال حاجي خليفة:مات في سنة 951، إحدى وخمسين وتسعمائة[11].

قال محمودتوفيقوالنجمالغزي:مات في هذه السنة قاله في الكواكب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة[12].

قال ابن الغزي:توفي سنة.950د وقيل: مات في سنة خمسين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين[13].

قال صاحب الشقائق النعمانية:ومات في سنة خمسين وتسعمائة .مات في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة[14].

قال الشوكاني:مات في سنة 951د إحدى وخمسين وتسعمائة[15].

قال السيوطي وابن منظورالأفريقي:وقد كانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة[16].

وقد كانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة [17].

آثاره العلمية:

لشيخ زاده مصنفات عديدة، متنوعة الاتجاهات، في الفقه واللغة والشعر والفرائض والتفسير، وهذا ماسأقف عنده فهو يحمل أكثر من دلالة على غزارة علمه، ومشاركه العلمية.

والمتتبع لهذه المصنفات يلحظ أنها جميعها تنتمي إلى كتب الأميات العلمية، والسبب في ذلك ينبع من قيادة دقة التدريس، وهذه المهنة تقتضي من صاحبها أن يعطي من كل علم طرفا، خاصة في تلك الحقبة التي لم يكن الاختصاص ذا قيمة فيها، بل كانت المشاركة في العلوم هي الدالة على طول باع المدرس، وحسن تعليمه..

1- حاشية شيخ زاده على تفسيرالقاضي البيضاوي (حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي).

2- شرح الوقاية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي .
3- شرح الفرائض السراجية.
4- شرح المفتاح في المعاني والبيان للسكاكي.
5- شرح البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (خ).
6- حاشية على مشارق الأنوار للصاغاني (خ)في اسطنبول .
7- تعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم
8- شرح قواعد الإعراب لابن هشام[18] :

أستعرض هنا من آثاره العلمية من ناحية أهميتها وشهرتها التي نالت بين الأوساط العلمية وأخص بالذكر أن معظمها تدرس في الجامعات والمدارس العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية كمقررات دراسية، ومن أشهرها:

حاشية شيخ زاده على تفسيرالقاضي البيضاوي

(حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي):

وهي أربعة مجلدات، وقيل في ست مجلدات .قال الحاجي خليفة :وهي أعظم الحواشي.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد :عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعيم**685**.

هذا المصنف في مواضع عدة من كتابه، وذكر أن هذا الكتاب "حاشية شيخ زاده "هو أفضل حواشي "أنوار التنزيل "من بين الحواشي الكثيرة التي كتبت على "تفسير البيضاوي "وفي ذلك دلالة على مكانة" الشارح "في عالم التفسير والتصنيف...

وفي الوقت نفسه أشار حاجي خليفة، وغيره من مؤرخي الكتب العربية إلى أن هذا الكتاب "حاشية على أنوار التنزيل "أفضل مصنفاته، وعند العودة إلى مصنف شيخ زاده هذا ما شدني إليه فالكتاب على قدر كبير من الأهمية، وفيه الكثير من العلم الدال على المشاركة وقد طبع هذا الكتاب في أوائل هذا القرن، وعرفه الباحثون، وقدروه حق قدره، ووضع في مكانته اللائقة بين كتب التفسير وحواشيها.

ولعل هذا الكتا ب هوالسبب الأول في شهرة شيخ زاده، ورفعه إلى مرتبة الشراح الكبار، في الوقت الذي كثرت فيه كتب الحواشي.

وقد ورد ذكره في كتب التراجم والأعلام مثل:(معجم المطبوعات العربية لسركيس .ومعجم الأعلام للزركلي .ومعجم المؤلفين لكحالة).

هذاكتاب عظيم الشأن غنيعن البيان لخص فيه من(الكشاف)مايتعلق بالإعراب والمعاني والبيان.

ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله-سبحانه وتعالى-بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول فعكفوا عليه بالدرس والتحشية فمنهم:من علق تعليقة على سورة منه ومنهم :من حشى تحشية تامة ومنهم :من كتب على بعض مواضع منه أما الحاشية التامة عليه فكثيرة منها :

أ. حاشية: القوجوي العالم الفاضل محيي الدين :محمد بن الشيخ مصلح الدين :مصطفى القوجوي المتوفى سنةإحدىوخمسين وتسع مائةوهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرهانفع اوأسهلهاعبارةكتبها أولا :

على سبيل الإيضاحوالبيان للمبتدئ.فيثمان مجلد اتثماستأنف هاثانيا :

بنوعتصرففيه وزيادةعليه فانتشرتمات انالنسخ تانوتلاعببهماأيديال نساخحتى كادأن لايفرق بينهما ولايخفى أنهامن أعزالحواشي وأكثرهاقيمة واعتبار اوذلك لبركة زهده و صلاحه .

ب. حاشية القاضي:زكريا بن محمد الأنصاري الفاضل القاضي :زكريا بن محمد الأنصاري المصريالمتوفى : سنةعشروتسعمائةوهيفيمجلدسماها:(فتحالجليلبيانخفيأنوارالتنزيل).

ج. حاشية: السيوطي الشيخ جلال الدين:عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى:سنة إحدى عشرة وتسعمائة وهي في مجلد أيضا[19].

ولكن حاشية شيخ زاده أعظم من الحوا شي الأخرى لأنها كبيرة وضخيمة وهي أعظمها فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة .

مذهبه النحوي:

جرت العادة أن يحدد الدارس مذهب مؤلف كتابه الذي يدرسه، وذلك من خلال استقراء النص، وتفحص آراء المؤلف في الكتاب المدروس، وتحديد اتجاه هذه الآراء.

وغالبا ما يقتصر هذا التحديد على مدرستي البصرة والكوفة، وهما المدرستان الشهيرتان في النحو العربي، وهناك من يحاول إثبات وجود مدارس أخرى كالبغدادية والشامية والأندلسية.

لكن المتابع لهذه المدارس يجد أنها تدور في فلك المدرستين الأساسيتين في النحو العربي؛ البصرية والكوفية.

ولن أتتبع في هذا الفصل دراسة نشوء المدرستين وأعلامهما فذلك أمر تاريخي بحت لا مسوغ له هنا، وكل ما يهمنا هو أن ندرس الكتاب خاصة، ولتلك الأبحاث التاريخية مجالاتها الأخرى.

إن ما سأفعله هو تحديد مذهب شارح ((قواعد الإعراب)) شيخ زادهوهذا أمر لابد منه، وعليه سيقوم فيما بعد تحديد موقفه من الاحتجاج والاستشهاد الذي هو أس الخلاف وأساسه بين أتباع هاتين المدرستين الجليلتين.

أن خلافات كثيرة قائمة بين أصحاب هاتين المدرستين في القياس والسماع وغيرهما، ومن خلال استقراء آراء المؤلف في هذه الأمور يتم تحديد هوية المؤلف النحوية.

شيخ زاده إلى أي من المدرستين ينتمي أو على الأصح نقول نحو أي مدرسة نحو شيخ زاده؟

إن النص الذي ندرسه في((شرح قواعد الإعراب))فيحدد لنا مذهب الشارح من خلال استقرائه، وتحديد مصادره، فالكتب التي تحدي إليها واحتج بها تبين مذهبه.

فأكثر كتب شيخ زاده من كتب البصرية، وهو يحتج بها مواقفا .[20]

مثل كتب سيبويه، والمبرد، والأخفش.

أما عندما يورد كتب الكوفيين، فإنه يورد معززة لقاعدة حسب أصول البصرية، أو لنقض ما جاءت به.ومنهجه يظهر لنا مذهبه .[21]

شواهده:

فشيخ زاده يضيق على نفسه فيالشواهد،شأنه في ذلك شأن أصحاب المدرسة البصرية، فشواهده تتدرج على الشكل التالي:

1- القرآن الكريم.

2- الشعر العربي.

3- الأقوال.

4- الحديث الشريف.

فهو لم يأخذ من الأحاديث الشريفة إلا بأقل القليل مع أنه متأخر، وعدد من المتأخرين توسعوا في الاستشهاد في الحديث.[22] كابن مالكأما استقراء النص فإنه يبين ميله إلى المذهب البصري بجلاء ووضوح، فهو يذكر القاعدة النحوية حسب المذهب البصري، دون إشارة إلى الخلاف، إن لم يكن هناك من خلاف، ويعود ليقول في مكان لآخر :أما الكوفيون فيقولون كذا...

وكذلك يورد مذهب سيبويه حجة، ويورد بعد ذلك رأي الكسائي والفراء وغيرهما مرجحا رأي سيبويه، وهكذا...

ومن عباراته الدالة على مذهبه:

يقول الشلوبين أحد شيوخ الكوفيين:50.

أما عند الكوفيين والأخفش منا:76.

خلافا للكوفيين:163.

الجمهور =البصرية: 114 ، 122، 150.

فعندما حدد أن الشلوبين من شيوخ الكوفيين، فقد دفع مذهبه عنه على غير عادته في الرسالة، وكذلك العبارات التالية.

وفي الرسالة عموما يطلق عبارة النحاة والجمهور على البصرية.

أما في قواعد الاحتجاج، فإننا نلمس ذلك من خلال موقفه من السماع والقياس.

فهو يعتمد السماع: 111 ، 122، 128، 152نقلا عن الارتشاف.

وكذلك القياس :على غير القياس:142 .

لا يقاس على الشاذ: 110.

والشذوذ يورد بعضه، ولايقيس عليه:

فضل يفضل :تداخل الأبواب التصريفيةشاذ .100

دخول حتى الناصبة على المضمر يجوزه المبرد، وهو شاذ.105

حذف حرف العطف مع ذكر المعطوف فشاذ نادر:158 .

وهو لايقيس على اللغات كلها، وإنما يذكر تلك اللغة، دون أن يقيس عليها وهذا لا يعني أن(شيخ زاده)أخذ بالمدرسة البصرية وحسب، بل إننا نجده شأنه في ذلك شأن النحاة المتأخرين، يأخذ من المدرسة الأخرى من مبدأ التوفيق بين المدرستين.والسبب في ذلك يكمن في أن الشارح مفسر وفقيه قبل أن يكتب في النحو وشرحه، وهذه الطائفة من العلماء لها موقف في الاحتجاج والحكم عليه.

والمفسرون وإن لم يأخذوا بالقراءات الشاذة في التعبد، إلا أنهم يأخذون بها للاستشهاد النحوي، لأن مادة القراءات تشكل عندهم مادة كبيرة من الشواهد التي تسمو إلى أعلى درجات الفصاحة.

فالاحتجاج عنده يبدأ بإجماع أهل البصرة والكوفة، ثم بما انفردت به مدرسة البصرة، وما هو مقنع من آراء الكوفيين.

أما القياس على الشاذ فإنه يذكره ولايأخذ به كما في نصب الفعل بعد لم عند بعض العرب.وإذا تعارض القياس والسماع، أخذ بالسماع غير الشاذ كمذهب البصريين، والفصاحة عنده كما عند أغلب علماء اللغة:

فقريش أولا، وقيس، وتميم، وأسد ،وهذيل..

وقد اتفق مع النحاة بأن البصريين أصح قياسا، لأنهم لايلتفتون إلى كل مسموع، ولايقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية في ذلك[23].

تفصيل الآراء في القياس والسماع، والشاذ، والفصاحة ،والاحتجاج في "الاقتراح "للسيوطي52:، 55,66، 122، 128.

الاستشهاد في الشرح:

حدد النحاة الاستشهاد في اللغةالقرآن، والقراءات، وفيها خلاف، الحديث الشريف، الشعر، النثر.

القرآن والقراءات القرآنية:

يحدد السيوطي في "الاقتراح "كيفية الاحتجاج بالقرآن وقراءاته، رابطا ذلك الاحتجاج بالسماع والقياس فقال:

"أما القرآن فكل ماورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذا، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه[24]."

ومن المعاصرين يقف الأستاذ سعيد الأفغاني من قضية القراءات موقف السيوطي، فقال في هذا المجال:

"لم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته، وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متنا وسندا، وتدوينها بالمشافهة عن أفواه العلماء الأثبات الفصحاء والأبيناء من التابعين عن الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو النص العربي الصحيح المجمع على تلاوته بالطريق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسكنات ،ولم تعتن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بقرآنهم، وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به[25]."

أما فيما يخص القراءات فقد قال الأفغاني وهو يرى عزوف النحاة عن الاستشهاد بها:

" وبعد، فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها وشاذها، وأكبر عيب يوجه إلى النحاة عدم استيعابهم إياها، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها، ولو فعلوا لكانت قواعدهم أشد إحكاما[26]."

إن ما يهمنا هو موقف شيخ زاده من هذا الخلاف، فهو يستشهد بالقرآن استشهادا كاملا في **(220)**موضعا، يأخذ بالقراءات المتواترة وقراءات الآحاد والقراءات الشاذة أيضا ،أما المتواترة فهي مبثوثة في الكتاب كاملا، أما الآحاد والشاذة ،فهي في مواضع محددة ب**(14)**موضعا في الرسالة، لكن اللافت للنظر أن الشارح لم يشير إلى كون هذه القراءة شاذة أم لا، بل ذهب شيخ زاده إلى الاستشهاد بقراءات جمعيها في تفسير أبي حيان الأندلسي "البحر المحيط " الذي يشير إلى شذوذها، بينما لم يفعل ذلك شارح الرسالة.

ومن ذلك يتضح مذهب الشارح، فهو يحتج بالقرآن وقراءاته جميعا دون أي حرج كما اعتاد النحاة من قبل حيث اقتصروا على المتواترة كسيبويه وغيره من أئمة النحو قديما.

الحديث الشريف:

في الاستشهاد بالحديث الشريف خلاف بين النحاة، لكن الإجماع كان على عدم الاستشهاد إلا بما صح نقله عن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظا.

"انقسم اللغويون فيما يروي من الأحاديث فريقين :فريقا غلب على ظنه أنها لفظه عليه السلام، فأجاز الاحتياج بها، وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ، وإذا لايجيز الاحتجاج بها[27]."

يبين السيوطي أسباب عدم الاحتجاج به، مع رأي المدرستين بقوله:

"أما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا.فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرورها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بأخرى..

البصريون والكوفيون لم يستدلوا بالحديث النبوي كثيرا، وإن فعله بعض المتأخرين كابن مالك[28] ."

وقد ألمع إلى رأي ابن مالك ومن تبعه في الاستشهاد بالحديث، لكنه لم يأخذبه، وليس ذلك إلا من باب الخوف والخشية والحيطة.

الشعر:

أجمع النحاة على الاستشهاد بالشعر الموثوق المعروف قائله، وأسقطوا من شواهدهم الشعر غير معروف القائل .وحددوا ذلك بزمان ومكان محددين، لكن ذلك لايعني أنهم لم يخرموا هذه القاعدة، ففي سيبويه عدد غير قليل من الشواهد مجهولة القائل، وأخرى مروية بروايات متعددة، وثالثة متنازعة النسبة.

والشارح في شرحه تبع المنهج نفسه في الاستشهاد، فأخذ بهذه القواعد لكن بغير صرامة ونرى ذلك من خلال هذا الجدول:

عدد الشواهد الشعرية 29شاهدا.

عدد الشواهد معروفة القائل 18شاهدا.

عدد الشواهد غير معروفة القائل 7شواهد.

عدد الشواهد متنازعة النسبة 4شواهد.

فالشارح بقي على المنهج الذي جاء د من السابقين في استشهاده ورؤية نسبة الشواهد ,وتماشيها مع القاعدة تؤكد تمسكه الشديد بالقواعد التي وصلته، وربما كان السبب الرئيسي في ذلك أنه لم يصل مرتبة الاجتهاد التي تسمح له بأن يختط طريقا خاصة كما فعل ابن مالك، مع أنه يعرف ذلك ويدركه.

النثر:

استشهد النحاة بالنثر الذي قاله الفصحاء، ورواه الثقات.[29]

والشارح اكتفى بهذا الشرط، وبقي ملازما له في رسالته، وقد اكتفى في شرحه بالاستشهاد

ب:قولين لسيدنا عمر رضي الله عنه[30].

لسيدنا علي كرم الله وجهه[31]

ثلاثة أمثال[32].

ذكر هذه الشواهد، وهي من أقوال الفصحاء، ورواها الثقات في كتبهم وقد روي مجموعة أخرى من الأقوال النثرية التي تداولها في كتبهم من سيبويه إلى يومنا، من مثل:قام زيد ..وغيرها من كلام النحاة الذي صيغ من أجل تعزيرقاعدة، أو تأكيد حكم نحوي، لم أقف مع هذه الأقوال لعدم الضرورة، ولأن كما شيخ زاده كما أشرت كان ناقلا لآراء النحاة، جامعا لها، مرددا لعباراتهم.فشيخ زاده من أتباع المذهب البصري في الأخذ بأصول النحو، من

سماع وقياس واحتجاج، وكذلك من أتباعه في الاستشهاد، لكنه توسع في ذلك قليلا، في القراءات خاصة أخذا بمذهب ابن جني في الاستشهاد بالقراءات القرآنية مهما كانت نوعيتها؛ متواترة، أم آحادا، أم شاذة.

وذلك المذهب ما يسوغه عند القدماء والمحدثين، من ابن جني إلى أبي حيان الذي أخذ بما عنده في "البحر المحيط "إلى المرادي الذي اعتد بذلك في "توضيح المقاصد والمسالك "وقد أخذ ذلك عن أبي حيان بإشارة إليه، وبغير إشارة .وكذلك شارحنا المتأثر بالمرادي وأبي حيان معا، وقد ظهر واضحا في كتابيه" :حاشية على أنوار التنزيل " و"شرح قواعد الإعراب."

وبذلك يتوضح لنا أنه كان من أتباع الأصول النحوية، لم يشأ أن يخرج عن إجماع النحاة، وإن وفق بين المذاهب أحيانا، في كثير من الدقة والأمانة العلمية في عزو الآراء إلى أصحابها.

منهج ومصادر حاشية شيخ زاده:

هي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة تبعها أولا على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدئ في ممان مجلدات ثم استأنفها ثانيا بنوع تصرف فيه وزيادة عليه فانتشر هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدي النساخ حتى كاد أن لايفرق بينهما ولبعض الفضول منتخب تلك الحاشية ولايخفى أنها من أعز الحواشي وأكثرها قيمة واعتبارا وذلك لبركة زهده وصلاحه[33].

وأهم مصادر لتفسير شيخ زاده مما يلي:

الكشاف للزمخشري، وتفسير أبي السعود لأبي السعود، البحر المحيط لأبو حيان، تفسير الطبري لطبري، وزاد المسير لابناجوزي،والنكتوالعيونلماوردي،تفسيرالكبيرلإمامالرازيوغيرها.

خلاصة البحث:

كان محمد بن مصطفى القوجوي المعروف به شيخ زاده عالما بالتفسير والأصول وسائرالشرعية والعقليةوكان عارفا بالله وصفاته وكان زاهدا متورعا وكان صاحب البيان فصيح اللسان واسع التقرير كامل التحرير وكان له إنشاء بليغ في العربيةوأخذ العلم عن والده وكان والده من مشاهير علماء بلاد الروم ثم قرأ على المولى عبدي الدرس باماسية ثم على المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري.واشتهر بكتابه التفسير: "حاشية شيخ زاده على تفسيرالقاضي البيضاوي "كما نالت آثاره العلمية من ناحية أهميتها وشهرتها مكانة بارزة بين الأوساط العلمية وأخص بالذكر أن معظمها تدرس في الجامعات والمدارس العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية كمقررات دراسية.وقد تعتبر آثاره العلمية أهم الكتب في القرن العاشر الهجري في العالم الإسلامي.

هوامش

1. اليان سركيس :معجم المطبوعات العربية1166/2، يوسف المتوفى 1933م منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.رضا كحاله:معجم المولفين:32/12 ، عمر رضا كحالة المتوفى1408 هـ بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت،البابانى :هدية العارفين أسماء المولفين وآثار المصنفين:69/2.إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي المتوفى 1399هـ ،دار إحياء التراث العربي بيروت -لبنان، 14نوفمبر 2010م.
2. محمود توفيق محمد سعد: شذرات الذهب "دراسةفي البلاغةالقرآنية:182/4 ،أستاذالبلاغة والنقدورئيس القسم في كليةاللغةالعربيةجامعةالأزهرالشريف شبين الكوم الطبعةالأولى1422هـ ،ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة8/1، ابن الغزي:محمد بن محمد محمد المتوفى1061 هـ ،دار إحياء التراث العربي بيروت.
3. ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 1/235، محمودتوفيق محمدسعد:شذرات الذهب286/ :، الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم1/245
4. الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم 1/151،152
5. الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم1/245
6. الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم182/1،الشوكاني:البدرالطالع.2/262:
7. الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم182/1
8. الشوكاني: محمد بن علي المتوفى1250هـ"البدرالطالع بمحاسن من بعد القرن السابع" 262/2،دارالمعرفة بيروت.
9. ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة.1/235:
10. البابانى :هدية العارفين.2/69 :
11. حاجي خليفة :كشف الظنون ،مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المتوفى 1067 هـ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون1689/2 "، دارالكتب العلمية بيروت 1992م .
12. محمود توفيق محمد سعد: شذرات الذهب182/4 ، ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 8/1.
13. ابن الغزي: محمد بن محمد محمد المتوفى 1061هـ "ديوان الإسلام" 73/1،تحقيق:سيدكسرويحسن،دارصادربيروت 1990م.
14. الشقائق النعمانية ،العقد المنظوم1/245،182/1
15. الشوكاني :البدرالطالع.2/262:
16. السيوطي: جلال الدين عبدالرحمان المتوفى 911هـ "طبقات المفسرين "1/ 382 ،تحقيق:علي محمد عمر ،مكتبة وهبة القاهرة 1396هـ ،الطبعة الأولى.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المتوفى 711هـ "لسان العرب "1/ 382 ،دارصادر بيروت،الطبعة الأولى.
17. ابن هشام :عبدالله بن يوسف بن أحمدبن عبدالله بن يوسف بن هشام المصري المتوفى76 هـ"رسالةالمباحث المرضية "1/ 382 ،تحقيق :د.مازن المبارك،دارابن كثيردمشق،الطبعةالأولى،1987 م.
18. الزركلي :خيرالدين الزركلي المتوفى 1396هـ"الأعلام "7 /99 ،دار العلم للملايين بيروت 1085هـ ،البابانى :هدية العارفين 2/73 :،رضا كحالة :معجم المولفين.12/32 :

19. السيوطي:جلال الدين عبدالرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو" 189/1، تحقيق :الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 م،حاجي خليفة :كشفالظنون،186/1...188.
20. في كشاف"الكتب الواردة في المتن "تجد ذلك قائما
21. في كشاف "الشواهد "ووازن بين أنواعها وكثرتها
22. الأفغاني :سعيد الأفغاني "في أصول النحو " ص47،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1414هـ، ص47.
23. " السيوطي :جلال الدين عبدالرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو"ص52، تحقيق :الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 -م.
24. السيوطي :جلال الدين عبدالرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو"ص36، تحقيق :الدكتور محمود سليمان ياقوت: دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 -م.
25. الأفغاني:في أصول النحو،ص28.
26. الأفغاني:في أصول النحو،45.
27. الأفغاني:في أصول النحو،47.
28. السيوطي :الإقتراح في علم أصول النحو ، 40.
29. السيوطي :الإقتراح في علم أصول النحو ، 55.
30. السيوطي :الإقتراح في علم أصول النحو ،94-134.
31. السيوطي :الإقتراح في علم أصول النحو ،43-137.
32. السيوطي :الإقتراح في علم أصول النحو ، 9،25،160.
33. حاجي خليفة :كشفالظنون188/1